ملفّ خاص

ندوة الدفاع عن المثقف العربي

بين ٢٩ و ٢٢ شباط الماضي ١٩٨٨، أقيمت في بعقلين (لبنان) «ندوة الدفاع عن المثقف العربي» بدعوة من «المجلس القومي للثقافة العربية» و «اتحاد الكتّاب اللبنانيين». وقد شارك في الندوة عدد من المفكرين والمثقفين العرب، ووقفوا عند الافتتاح دقيقة صمت لأرواح الشهداء كمال جنبلاط وحسين مروة ومهدي عامل وناجي العلي وشهداء انتفاضة فلسطين المحتلة وجميع الذين سقطوا دفاعاً عن كرامة الانسان والحرية والديموقراطية.

جلسة الافتتاح

توجّه الدكتور علي سعد، أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين الى المشاركين ترحيباً بهم في لبنان

«موطن شهداء الكلمة المقاتلة، والموقع العربي المتقدم والمنفتح على التفاعل الحي بين الثقافة القومية وثقافات شعوب العالم، في لبنان الجو الديمقراطي العريق والمناخ الثقافي المتطور الذي ساعد حتى في أحلك الظروف على إقامة الحوار بين المثقفين من كل الاتجاهات والذي يسهم ليس فحسب في مد الجسور التوحيدية بين المثقفين اللبنانيين ومن تمكينهم من تجاوز كل الحواجز والسدود المنصوبة بين الفئات المتحاربة ومن رفع الدعوات، إلى التغيير في اتجاه بناء لبنان واحد ديمقراطي الطابع، عربي الروح والتوجه، لا طائفي النزعة، معاد بالفعل للصهيونية والامبريالية، وإنما كذلك في خلق المناخ التوحيدي بين مثقفي مختلف البلدان العربية بل وفي خلق البيئة الملائمة بفعل الخمائر المنضجة لتكوّن التيار القومي الوحدوي والتيار الديمقراطي والتحرري».

أضاف سعد: «نحن لا نذكر هذه الجوانب من دور لبنان الثقافي من باب التباهي، خاصة ونحن نرى الصفوة قد أقبلوا من خلف كل هذه المسافات ليعبروا بما هو أبلغ من القول عن حقيقة تقديرهم لدور الجبهة الثقافية في لبنان، وذلك عندما اختاروا لبنان موقعاً لهذه الندوة وعندما ارتضوا بأن تكون منذورة لدراسة نضال وفكر وجهين طليعيين من لبنان بل حاملي رايات الاقتحام الثقافي في معركة التحرر الوطني والقومي، عنيت الشهيدين حسين مروة ومهدي عامل».

وتابع سعد: «الصورة الإيجابية التي أعطيناها عن دور المثقفين اللبنانيين الفاعل في المسار الوطني القومي الديمقراطي لا يصح أن تنسينا الجانب القاتم للقضية، فلبنان الذي كان المنبر والراية والسيف في معارك الدفاع عن المعاني التي ذكرنا يتعرض في السنوات الأخيرة لحملة مبيتة بارعة التخطيط والتنظيم تتوسل كل أساليب القمع من تهديد وخطف وتفجير ومحاولات تدجين انتهاء بعمليات التصفية الجسدية، عملية تطال المثقفين من كل الفئات والطبقات والمستويات، طالت فيما طالت الرموز الثقافية الأكثر إقداماً وجرأة في امتشاق الرأي الصريح والموقف الصلب والعقيدة التي لا تلين ولا تهادن، ولا تقف آثار هذه الحملة الإرهابية الشرسة عند الأشخاص وإنما تتعداهم إلى المؤسسات الثقافية، هذه الحملة الظلامية تحاول ان تلغي من ذاكرتنا كل المحطات المضيئة في تاريخ أمتنا وشعبنا، المحطات التي تمثل انتصار العقل على عالم الخرافة وتحرير الفرد والمجتمع من الجهل والفقر والظلم والتمييز العنصري والتسلط».

وختم الدكتور سعد كلمته قائلاً: «الشهيدان حسين مروة وحسن حمدان يحتلان واحدة من هذه المحطات المضيئة الأكثر سطوعاً وتوجهاً، إنهما باقيان رغم كل الرصاص المكتوم الصوت، باقيان في قلوبنا، في دمائنا، في خواطرنا حيث استحالت كل فكرة شقت من كلماتهما كوكباً يسري على زغب السكون، إنهما باقيان».

كلمة الدكتورة نجاح العطار:

واستهلّت وزيرة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية السورية، كلمتها بالقول:

لا تسلها، فلن تجيب الطلول
المغاوير مثخن أو قتيل

ولن نسأل الدم، في مطلول تربته، عن الذين اجتلينا فيهم الفكر والابداع، واجتلوا فينا المودة والوفاء، فالأذى المتربص تحت الأظافر، قد وثب على شكل رصاصة، أطلقتها الجهالة وهي ترتعد خوفاً من العلم، وصوبتها الظلامية، وهي تمضغ حقدها على النور، صانعة بذلك ظاهرة مميزة لزمن الانهيار العربي معطية علامة على الانحطاط الفظيع، في مسلكية دنيئة، خائنة، تترصد، وتقنص، رؤوس النوابغ فينا، وغايتها ان تعود بنا إلى وراء، متشبثة بعجلة التاريخ كي تحول بينها وبين الدوران باتجاه التقدم الذي هو سمة قرننا العشرين.

إنه الإرهاب الظلامي ولا شيء آخر. الإرهاب الذي يسعى، متنكراً ببياض نورس، كي ينهش اللحم كالغراب، والإرهاب الكامن في معطف الليل، كي يطفئ الضوء في غرة النهار، والارهاب الزاحف، على حضيض الخساسة، كي يقضي على نبالة الفكر، ثم هو الارهاب المنفلت، المارق، المستذئب، وهمه ان يقتل العقل العربي. ويسكت الضمير العربي ويلوي بشكيمة المثقف الثائر، ويحمله على الصمت أو الخضوع.

أضافت: هكذا يواجه المثقف العربي مرحلة جديدة، هي مرحلة الوأد والاطفاء، فقد أعجز هذا المثقف، في استمساكه بعروة الشجاعة والكبرياء، أولئك الذين يضيقون بالكلمة الحرة الشريفة، فاختصروا الطريق اليه، وصار الحذف من الوجود طريقة سهلة لتغييبه، وأضحى المسدس الكاتم، بديلاً للسوط المفرقع، وظلمة القبر أجدى من ظلمة الزنزانة، وجاء الزمن الذي ليس فيه للمفكر والأديب والفنان من عاصم من الردى، وصرنا نحن، جوع المثقفين، هدفاً مباشراً ويومياً للذين قرروا حطم القلم والريشة والقيثارة، وتخريب الدورة الدموية في شرايين الذين يمضون إلى غاياتهم غير هيابين ولا وجلين، ويتقدمون باتجاه الشمس، ليشربوا أشعتها بأكواب من أصداف البحر.

وتابعت د. العطار: لقد عرف المثقف العربي، في الصراع التقليدي الذي خاضه ضد السلطة الباغية، الحرمان من الحرية، ومن العمل، ومن اللقمة، ومن النسمة، وتحمل كل ذلك بصبر وعناد، وظل مثابراً على أداء دوره التنويري، لكن هذه السلطة، التي رئتها من طحلب، وقلبها من فحم، ظل يزعجها إشعاع النجم الذي هو في أعاليه، فوق تناول عسسها السود، وفوق أسر قيدها الحديدي الصدئ، فعمدت إلى ألوان من الكبت والقهر والملاحقة، كي تنفي ما لا ينفى، وهو خطر المثقف على العبودية، وخطره على التبعية، ومسؤوليته عن فتح الطريق أمام الجنس البشري، كي يبلغ مستقبله الوضاء، المستقبل الذي هو بالغه، ولو قام بيننا وبينه سد كسور الصين.

ذلك أن المثقف ثائر بحكم دوره التاريخي، يعي أن الثورة هي صنع المستقبل، ودون مشاركته لن تكون هناك ثورة ولن يكون هناك نصر ثوري، وأن عليه أن يستأنف أبداً ضد الواقع السيئ في سبيل العدل، وضد التخلف في سبيل التقدم، وضد التبعية في سبيل الاستقلالية، وضد التجهيل في سبيل التعليم، وضد الارتهان للعفن الاجتماعي الذي ولده ركود حياة بالغة السوء، موطوءة بحدوة الاستبداد، وموجهة ضد كلمة الصدق التي تصر على أن تقول ذاتها بجهارة الصوت.

وهذا المثقف يناصر الفكر العقلاني، ويعادي الفكر الخرافي، ويلتزم بالفكر المعاصر، ويرغب عن الفكر الماضوي، ويسعى إلى فكر راديكالي، ويرفض الفكر المحافظ، وهو، أي المثقف، ينتج معرفة ذات مضمون وطني وقومي مرتبط بالحياة، بالجماهير، بصبوات الشعب، ومن أجل ذلك يفتقد مناخ الحرية في كل أبعادها، ويسعى لانتزاع هذه الحرية في كل أبعادها أيضاً، من حرية التعبير، الى حرية البحث، وحرية الكلام، وحرية التنقل. وهو في ذلك يشتعل بوقدة حياة جديدة، ومجتمع جديد، وينتمي الى تلك الأسرة المباركة، أسرة الثورة التي تعبئ الناس للكفاح في سبيل هذه الحياة الجديدة وهذا المجتمع الجديد. ولأنه كذلك، فهو منارة في مدلهم الليل، وهو هداية في وجه الضلالة، وهو فجر دون بزوغه تسود ظلمة دامسة لا رجاء لخيط نور معها.

وقالت الوزيرة العطار: فإذا كان المثقف كذلك، وهو كذلك فعلاً، فإنه عرضة للصلب والحرق والتعذيب والتشريد وحتى للحجر في مشفى المجانين، لكن هذه كلها وسائل باتت مرفوضة، فالظلامية وهي يد رقطاء بين أصابعها

عنكبوت الغدر، نابت عن السلطة القمعية، كي تقوم بقمع أكبر، هو التصفية عن طريق القتل العمد، وهذا القتل ينتظرنا جميعاً، باعتبارنا مثقفين تعز عليهم قيم الثقافة ومثلها العليا، وما لم نتجمع، ونتوحد، ونشكل تلك الجبهة الثقافية العربية العريضة، ونرفع الصوت، ونعلن الاستنكار، ونشجب الجريمة، ونُشِرْ بأصابع الاتهام إلى مرتكبيها، ونعرهم، ونفضحهم، فإن علينا أن نتوقع ما هو أسوأ، وما هو أفظع، وما هو أكثر إيغالاً في هذا السرداب الإجرامي المؤدي الى الجحيم.

وأضافت: إنني آتيكم من دمشق، وفي ثراها يرقد الشهيد الكبير حسين مروة، ولم أحمل لكم، من مثواه، حفنة تراب كي أذكركم به، كما ذكر البولونيون شوبان بوطنه، فهو، شهيدنا، حاضر في حبة القلب، كما هو حاضر في واعية الفكر، وهو حاضر في قضية المثقف العربي، وفي يوم الدفاع عنه، كما هو حاضر في الذهن الذي مجد الشهادة بتمجيد شهدائها، من الشيخ صبحي الصالح إلى حسين مروة، إلى مهدي عامل، الى الفنان ناجي العلي وغيرهم، فهؤلاء الأعزة الذين اغتالهم رصاص الغدر، قد كانوا، وسيظلون، أقوى من الرصاص، وأكرم من الغدر، وأرفع من الوضاعة، وفي تراثهم الثقافي والمعرفي، وفي عطائهم الفكري والفلسفي، وفي الريشة التي كانت عاصفة، وبرق العاصفة، ما يجعل سيرتهم خالدة بخلود تلك الإبداعات التي منحوها منح الغمام إذ هو جود السماء إلى ظمأ الأرض.

آتيكم من دمشق، ومعي تحية حسين مروة، غالية تعطرت بها تربتنا، وفوحاً تطيبت به غوطتنا، ونجمة تضوأت بها سماؤنا، ونبتة تنضرت بها خضرتنا، ومعي كذلك سلام الى الرفقة الأبرار، والصحبة الأخيار، وشوق إلى الأهل والولد، وحنين إلى بيروت، هذه التي ذاد عنها بالقلم والجسد وسواد العين، وظلت، في جوهر الموت، جوهر حياة، بما كان لها في قلبه وباصرته من سريرة تبلى السرائر وتبقى في الباقيات.

آتيكم من دمشق، حيث التاريخ بداية كان وأسطورة يبقى، رسولة كلمة، تشمخ بالثقافة، وتفتدي الثقافة، وتغليها وتعليها، وتدفع عنها وعن رسلها دفعاً فيه مفاداة ترخص دونها الروح، ويهون البذل وتتطامن التضحية.

آتيكم من دمشق مشاركة في ندوتكم، حاضرة في عزمتكم، إذ هي وثبة على الأذى، ونخوة على الذل، واستعلاء على الاستخذاء، وارتفاع على الشدائد، فما بين الشام وبينكم أخوة دم إلى الأجداد ترقى، وصلات حضارة إلى القومية تنتمي، وأصرة كفاح على اسم العروبة وفي سبيلها تتوثق.

آتيكم من دمشق وخافقي يتوثب في ضلوعي، وتضامني يستعلن في عيني، ومعي اليكم كل أشواق بردى، وكل شموخ قاسيون، وكل مروءات الغوطة، وكل بطولات ثوارها الأمجاد.

ثم لا أنثني من حرج في البوح فالأهل أنتم، والأشقة أنتم، ونبض الجوارح أنتم، إذا دمشق طربت، أو تشكت، أو كانت من صروف الدهر على نوب.

أضافت العطار: آتيكم من دمشق، وهي في ذكرى الوحدة، فضاء للوحدة، وركيزة وسند، وعمل دؤوب لا يهن، ولا يتوقف، ولا يتأخر، ولا يبخل ولا يشح له بذل أو عطاء. ذلك أن حلم الوحدة العربية، قد كان الأعظم والأمجد بين كل أحلامنا العربية، ونحن في نسج هذا الحلم، وفي السعي لتحقيقه، نمشي في الشوط الى آخره، ونمد اليد إلى أبعد من مدى الظن، ونفتح القلوب إلى أقصى ما تفتح له الأشرعة البيض، وهي تمخر عباب اليم.

وآتيكم من دمشق وهي انتفاضة الى جانب الانتفاضة، تقاوم بقيادة رئيسها حافظ الأسد الاحتلال الاسرائيلي بيدها ولسانها وسلاحها، وتقف شامخة غير منبهرة، فقد كانت دائماً تؤمن أن النصر للشعوب، في عصر الشعوب هذا، وأن شعبنا العربي الفلسطيني، في الأراضي العربية المحتلة، سيصنع معجزته كأصدق ما تكون المعجزات، وسيلهب ويلتهب بانتفاضته، ويقاوم كأضرى ما تكون المقاومة، ويجعل لغضبته دوياً هو الدوي الذي عناه المتنبي بقوله: « كأنما.. تداول سمع المرء أنمله العشر ».

وقالت: لقد دخل الحجر تاريخ النضال من بابه الابنوسي، ذاك الذي يفتح في القرن مرة واحدة للأصفياء من أحبته، وقد كان أبناء الضفة والقطاع والجولان، في هؤلاء الأصفياء من أحبة التاريخ، ونحن نحيا بهم غدنا، وأملنا، وثقتنا، وصحوتنا، ومجدنا، ونحيا بهم كذلك حماستنا، وفتوتنا، وشبابنا وزهرة عمرنا، ونتعلم منهم، فسلام عليهم يوم ولدوا، ويوم قاوموا، ويوم استشهدوا، ويوم يتفيئون سدرة المنتهى، وحجارتهم كتابهم، وكتابهم حق يزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

نعم! نتعلم منهم ولا نماري أو نداري، ونفتح بهم صفحة جديدة، هي الصفحة التي يكتبونها صبية يقاومون جنداً، وصدوراً تجبه رصاصاً، وحجارة تصد دروعاً، وشباباً وشيوخاً ونساء وأطفالاً يحدقون في الموت فلا ترف لهم جفون، ويدخلون المشافي كأنهم يدخلون الرياض، ويلجون السجون وكأنهم يلجون رحاب الحرية، ويتحملون القمع

الدامي، والضرب المبرح، والعذاب الأليم، ثم لا يكفون عما أخذوا به من مقاومة حرنا وحارت الدنيا في روعتها، وغضبنا وغضبت الدنيا على المحتلين المتصدرين لها، وعددنا وعد معنا العالم أيامها المطاولة التي تجاوزت الأيام إلى الأسابيع، وتخطت الأسابيع إلى الشهور، وما زالت ماضية بالعزم ذاته، والإصرار ذاته، كأنما طاقة الاحتمال لديهم طاقة مردة، فتحوا قماقمهم عنوة.

وقالت الوزيرة العطار: لنعترف، فعلوا هم ما عليهم، وبقي أن نفعل ما علينا، وليس يكفي الكلام، في وقت أزرت فيه الحجارة بالكلمات، فالذين مرقوا، في جنون شجاعتهم، من أحداق الردى، علينا أن نمرق اليهم من أحداق الدعم، وبكل ما لدينا من إمكانات، ما دامت المعركة، في حقيقة حقيقتها، داخلية صارت، وداخلية كانت أو يجب أن تكون، وهذه المعركة، في ساحة العدو، وفي حضنه، وفي خوذته، وفي سمعته، وفي جبهته، ينبغي أن نمد لها العون المادي كما مدت لنا العون المعنوي، ويجب ان نعتمدها، لأنها الأجدى، والأصوب، والأحكم، والأشد فاعلية وتأثيراً، ما دامت على هذا البأس، وهذه الشدة التي مادت لها الأرض تحت أقدام المحتلين، وبعثت الذعر في أفئدتهم، وأفهمتهم، باللغة التي يجدر بهم ان يفهموها، أن احتلالهم الى زوال، وأن استقرارهم إلى اضطراب، وأنهم سيظلون في قلق وخوف وسعير من ترقب المفاجآت.

وأضافت: وبمثل ما حييت به المقاومة الانتفاضة في الأراضي العربية المحتلة، أحيي المقاومة اللبنانية على تخوم هذه الأراضي، ففي لبنان، ومن لبنان، وشعب لبنان، قبسنا جمرة تضحية كانت سابقة في مفاداتها، وفي شدتها، وفي اندفاعتها، وكانت جديدة في عملياتها الانتحارية، التي روعت العدو، واستثارت الإعجاب، واستدعت الإكبار، كما كانت المقاومة الوطنية اللبنانية، في تواصلها، وتجذرها، وتفننها، ومباغتتها، ونزولها كالقدر في مضائه، وانحطاطها كالسيل الآتي في عنفه، مفخرة لما تزل تكتب نفسها على صفحات المجد المقاوم.

وختمت الدكتورة العطار: الشاعر الروسي القديم خليبنكوف، كتب يوماً هذه الأبيات لمجد الرجال الذين يموتون دفاعاً عن قضيتهم:

عندما تموت الخيول، تلهث وتنتفض
وعندما تموت الأعشاب، تذبل وتيبس
وعندما تموت الشمس، تفتر وتنطفئ
ولكن عندما يموت الرجال
فإنهم يغنون أحلى الأغنيات

والرجال الذين غنى الشاعر، بأبياته هذه، مجدهم في الموت، قد غنوا مجد أمتهم ووطنهم في الحياة، ومن المؤكد أن غناءهم، في صرخة الدم، قد كان أبلغ من كل غناء في صرخة الحبر أو الحنجرة.

ذلك أن الشهداء في ساحات الوغى، وفي مواقع الصمود، وفي حمل رسالة الفكر، هم الرجال الذين يحدون قافلتنا المباركة، وهم الذين يقاتلون بالرصاص والحجارة والكلمة كي يتحرر الوطن وتسترد الأمة كرامتها ومكانتها على السواء.

كلمة د. محمد علي موسى

ثم تحدث د. محمد علي موسى باسم الرئيس سليم الحص فنقل اعتذار الحص عن عدم تمكنه من الحضور شخصياً ونقل للحضور تمنيات رئيس الحكومة المخلصة بنجاح الندوة. وجاء في كلمته: «بعرس الدم جئنا نحتفي اليوم، بيوم الدفاع عن الحرية والموت في سبيلها، لا لنسترجع المأساة، لقاؤنا هذا لقاء للأمل، لاستنهاض الهمم، للدفاع عن الثقافة والمثقفين».

وأضاف: «حسين مروة، مهدي عامل، ولدا شهيدين وكتب عليهم، يومها، القتل، إنها الولادة المعمدة بالدم، فمنذ تلك الولادة وهما ثابتان في الميدان، يتحديان، يتصديان، يبارزان التنين، تنين الرؤوس العديدة الشريرة الفارغة، تنين الجهل والرجعية والظلام، تصدياً للجهل المسلح بالفكر المستنير، وبالصدر العاري، فانهزم الجهل أمام صراحة الفكر الأصيل لينال من طراوة الأجساد الندية».

وقال موسى: مات حسين مروة، مات مهدي عامل ولكن كلاً منهما سيظل دائماً وأبداً إشراقة النور في وجه الظلام وصرخة العدالة في وجه الطغاة ورمز التحرر من سيطرة الاستعباد وعنوان المجد والكرامة في مجتمع الذل والطغيان، عاش الواحد منهما للقيم وجبه الدنيا ألف مرة على غير اكتراث واهباً حياته كلها للناس، مشرعاً صدره للريح يتحدى العاصفة، ما أعظم أن تتحول الوجوه التي تغيب إلى أسماء تبرز إلى مستهل الخاطرة، كلما كان حديث عن الشرف والمروءة والأصالة، عن الوداعة والصلابة، عن التضحية ونكران الذات، عن الوعي والنبل وعن كل ما يسمو بإنسانية الانسان درب الجهاد الطويل معبد بمثل أجسادهم، وأمجاد الشعوب مبنية بمثل أفكارهم، هكذا الشهداء ومضة البرق،

وعصف الرعد، وصولة الاعصار، ورجع الصدى في نهايات المدى.

كلمة عمر الحامدي

كلمة المجلس القومي للثقافة العربية ألقاها رئيسه عمر الحامدي، الذي حيا القوى الوطنية التقدمية اللبنانية، التي حملت لواء الكفاح وتحملت ثمن التضحية من أجل أهداف الأمة العربية.

وأضاف: إن المجلس نشأ رداً على اتفاقيات كمب ديفيد والثقافة التبعية.

هذا المجلس الذي كان الدكتور حسين مروة أحد رؤسائه، يمضي على طريق التحرير والوحدة كهيئة ثقافية تطوعية ولا يخضع لزمر الحكومات التبعية، والمجلس قام على أكثر من صعيد بنعي مروة، ورأت هيأتنا ان تقيم ندوة علمية على أرض لبنان عرفاناً لشعبه ولحركته الوطنية ولمقاومته الوطنية التي توقف الزحف الصهيوني الرجعي، عند بطولاتها، في وقت تلهث فيه الأنظمة العربية وراءها.

وقال: « نحن هنا من أجل أن نكرم المقاومة الوطنية الفذة والشعب اللبناني البطل، الذي يقف رغم محنته الداخلية، والاقليمية والدولية ولنكرم مفكرين تقدميين عرفا بنضالاتهما وفكرهما التقدم المقاوم للأمر الواقع ».

وأضاف: « إن هذه الندوة هي ملمح من وفاء من مثقف هذه الأمة وجماهيرها وروادها، سقط وسيسقطون في مقاومتنا للرجعية والصهيونية والامبريالية، هذه الوقفة نبعة من أمل، وعلى قوى التحرر العربية ان تسد الطريق بقوة الفكر وبالمقاومة أمام هذه المؤامرة التي لا يمكن إلا أن توصف بأنها مؤامرة غير مسبوقة في تاريخ الأمة العربية ».

وقال الحامدي: « إننا نعيش عصر ألم تشهده الأمة العربية أو العالم في ما تتعرض له الأمم من محن داخلية وخارجية، تعرفون جميعاً أن المثقف الذي نعنيه هو حامل الوعي، إن أمة تغتال مفكريها تسير على درب الانتحار. نحن نعرف أن الأيدي التي اغتالت مروة وعامل وجنبلاط وسعد والعشرات وآخرهم العلي ليست هي الأمة إنما التخلف المعشش بين القبائل والطوائف، التي تنتسب إلى العصر الجاهلي، التي لا تنتسب إلى عصر تتحارب فيه الأمم على مستوى النجوم والكواكب نحن هنا من أجل ان نتحاور ونحن نكرم شهيدين ونحن نحتج على الجهالة ونحن نرفع هاماتنا هنا في لبنان المقاوم نقول لا للحلول الاستسلامية ونقول لا لمسوق هذه الحلول ونقول لا لغطرسة الامبريالية التي استطاع هذا الشعب المقسم الصغير الذي استمر وصمد، أحد عشر عاماً أن يطرد قوات الأطلسي والمارينز ويهزم العدوان الأميركي الذي ظن أن لبنان سيكون ورقة جديدة يضيفها إلى تاريخه الاستعماري لكي يقنع الرأي العام الأميركي بأن أميركا ما زالت في ذرى مجدها، وهي في الحقيقة تنهار عندما تعتدي على الشعوب الصغيرة كما عمدت في لبنان وليبيا وغيرها من البلدان التي شهدت اعتداءات أميركية ».

وتابع الحامدي: إن هذه الندوة ستعنى ببحث هذه الاشكالية التي تكتشف أزمة التحرر العربي، هذه الجهات التي تمنع الرأي، التي توجه الرصاص لرأس المفكر وإلى عقله، هذه الجهالة القاتلة علينا ان ننتزعها، وعلينا أن نشخص داءها.

وختم الحامدي: إن دماء حسين مروة ومهدي عامل لن تذهب هدراً، إن الجماهير العربية لن تنسى أولئك النخبة من مفكريها الذين يقدمون حياتهم وجهدهم من أجلها وسوف تمضي الحياة بنا وسيسقط شهداء ركباً بعد ركب، ولكن هذه الأمة لن تخنع ولن تركع، ولكن الامبريالية والصهيونية والرجعية لن تستطيع أبداً ان تحقق النصر على أمتنا.

كلمة الزبيري

وألقى رئيس اتحاد الكتاب والصحافيين الجزائريين، الدكتور العربي الزبيري كلمة استهلها بالقول: المجد والخلود للشهداء حتى نؤكد لهم، أولاً، أننا ما زلنا أوفياء لأرواحهم وللمثل التي استشهدوا من أجلها، ثانياً، لأقول أمامكم إنني جئت من الجزائر مكلفاً بحمل تحية جنود القلم لأرواح شهداء الكلمة ممثلين بالشهيدين اللذين ما كنا لنجتمع اليوم لولا شهادتهما، ثالثاً، لأتقدم بجزيل الشكر للمجلس القومي للثقافة العربية ولاتحاد الكتاب اللبنانيين اللذين سمحا لنا ان نلتقي، وكم لهذا اللقاء من فائدة.

ودعا الزبيري إلى رفع شعار: « قوة المثقفين في حريتهم ». وقال إن لذلك مجموعة من المسؤوليات من هو المثقف العربي وما هي الحرية التي يجب ان تتوفر لديه حتى يصبح قادراً على تأدية الواجب المنتظر منه؟

وأضاف: إذا كنا نتفق نظرياً على أن المثقف هو ذلك

الإنسان الذي يعي الواقع المحيط الذي يعيشه ويعمل بلا هوادة من أجل تغيير ذلك الواقع نحو الأفضل، فإننا، وحتى نوعياً، ما زلنا لم نحدد نوع الحرية التي ينبغي أن تتوفر له. لقد تعودنا حتى الآن، عندما نتحدث عن حرية المثقف، أن نحصرها في علاقته مع الأنظمة القائمة في بلداننا. صحيح أن هذه العلاقة تمثل جانباً من هذه الحرية، لكن ليس هو الجانب الأهم، فلأننا نؤمن بأن تحرير الإنسان العربي هو أساس البناء في كل المجالات فإننا نعتقد أيضاً أن الجوانب الأخرى التي يجب أن نهتم بها، حتى نوفر الحرية للمثقف، تكمن في برامجنا التعليمية في جميع مستوياتها: التعليم الابتدائي والثانوي والعالي، لأننا ما لم نتمكن من إعادة النظر، خاصة في العلوم الاجتماعية، فإننا لن نتمكن من توفير الحرية للمثقف العربي.

وأضاف: هناك جانب هام للغاية أيضاً وهو التصدي للغزو الثقافي الامبريالي الذي يشل أذهان الكثير من مثقفينا ولا يسمح لهم بتأدية الدور المطلوب منهم، علينا إذن أن نعيد النظر في العلاقة التي ينبغي أن تقوم بين المثقف والشرطة، والعلاقة التي يجب ان تقوم أيضاً بين المثقف والجماهير.

وقال الزبيري: ليس من السهل أن يحدد الانسان حرية المثقف العربي لأننا لو حاولنا أن نطبق تعريف المثقف على من هم موجودون في الساحة العربية، فإننا ربما نصل إلى نتيجة قد تدفعنا إلى اليأس.

وأضاف: نحن اليوم بحاجة أولاً، إلى أن نضبط القواسم المشتركة التي تمكننا من وضع استراتيجية عربية تسمح بأن تعيد للثقافة القومية مكانتها وبتأهيل المثقف العربي ليقوم بدوره كاملاً.

إن موضوعاً كهذا ربما يتطلب منا أن نتوقف عند معطيات كثيرة، لكني لست هنا لأحاضر وإنما لأشارك في جلسة افتتاحية، فاسمحوا لي أن أعرض أمامكم حادثاً تاريخياً هاماً، نحن اليوم في حاجة ماسة إلى تذكرة، كان ذلك في سنة ١٩٣٦ بمناسبة تجمع جماهيري كبير في مدينة الجزائر، عندما أخذ أحد زعماء الحركة الوطنية في الجزائر يومها «كمشة» من التراب وتوجه إلى الجمهور بقوله: هذه حفنة من التراب ما تزال مبللة لكن ليس بالماء. إنها مبللة بدماء الشهداء الذين ظلوا منذ أن وطئت أقدام الاستعمار أرضنا يقدمون أرواحهم فداء لهذا الوطن الغالي، فإنني أناشدكم بأن تستمعوا إلى ما تقوله هذه التربة إنها تقسم ألا تجف حتى تتمكنوا أنتم من استرجاع لهذه الأرض التي اغتصبت منكم، إن هذه المقولة يمكن أن نتبناها اليوم لنأخذ حفنة من تراب حسين مروة.

كلمة قباني

وألقى رئيس النادي الثقافي العربي المهندس محمد قباني كلمة قال فيها: «من دواعي سرورنا واعتزازنا أن نرى بيننا اليوم نخبة من المفكرين والمثقفين العرب بعد أن افتقدناهم منذ الاجتياح الاسرائيلي لأرضنا العربية عام ٨٢، هذه العودة لإخوتنا في الانتماء القومي إلى وطنهم الصغير لبنان هي بالحقيقة عودة لدور لبنان إليه. دور الاحتضان لكل قضايا العرب القومية وفي طليعتها حرية التعبير، حرية الكلمة التي هي أساس كل الحريات الأخرى.

أضاف: وإذا كان لقاؤنا في الذكرى الأولى لغياب المفكر الكبير حسين مروة، الثلاثين لقيام الجمهورية العربية المتحدة، الأربعين لاحتلال أرضنا العربية في فلسطين، فهو أيضاً لتأكيد تمسكنا بالمناخ الديمقراطي الذي يكون به لبنان وبدونه لا يكون.

وتساءل: «هل من علاقة بين حرية المثقف العربي وذكرى الوحدة، وانتفاضة فلسطين المحتلة في وجه إسرائيل؟». وقال «عندما نتحدث عن حرية المثقف والوحدة العربية ومواجهة المشروع الاسرائيلي في فلسطين، فإننا نتحدث عن شيء واحد له تجليات مختلفة لا تقف عند ثلاثة، بل تتعداها إلى ما هو أكثر بكثير، وهذا الشيء هو حق الانسان العربي والأمة العربية في الانتماء إلى العصر الحديث، انتماء خلاقاً، يليق بالخط البياني التاريخي لهذه الأمة، وبالدور المنتظر لهذه المنطقة من العالم».

ودعا قباني إلى وقفة جذرية وجادة ضد كل أشكال النفوذ الأجنبي في المنطقة، يكون الموقف الجذري الجدي من إسرائيل منطلقاً لها، بما تمثله من خلاصة مركزة لكل مشاريع وتطلعات الهيمنة الخارجية على المنطقة.

وقال: إن تركيز القوى الحية على عنصر واحد من العناصر الثلاثة إن بالتناوب أو بالاستبدال، هو وقوع في فخ التجارب المجتزأة والمبتورة.

أضاف: طالعتنا أنباء الامس بقرار اتهامي يطلب الإعدام لأبطال ثورة مصر، وبينهم خالد عبد الناصر، إنه لمن مهازل القدر أن يتهم الإنسان بالنضال من أجل عروبة مصر وفلسطين، يكفينا هنا أن نسجل ولو على عجالة أن القانون الذي يحمي المحتل الاسرائيلي ليس قانوناً يمثل إرادة الشعب العربي في مصر، إن إرادة شعب مصر العربي أقوى من إرادة كمب ديفيد، وقوانين كمب ديفيد ستسقط كما سقط

صانعها. إن خالد عبد الناصر ومعه كل جيل جمال عبد الناصر من المحيط إلى الخليج، ومعهم أطفال الحجارة في الأرض المحتلة، هم القضاة لا المتهمون.

وختم قباني محيياً حسين مروة ومهدي عامل، وأبطال الانتفاضة في الأرض المحتلة، «الذين بإرادتهم ستعود رايات الوحدة وسيكتب التاريخ العربي من جديد».

كلمة باسم السبع

وألقى أمين سر نقابة الصحافة اللبنانية الأستاذ باسم السبع، كلمة استهلها بالقول:

«باسم الصحافة اللبنانية، باسم الثقافة الشعبية، نحن هنا، لكلمة قصيرة، قاطعة الولاء للحرية، ولكل الذين يلتقون للدفاع عنها، وحمايتها، وتكريسها نهجاً لا تقوم من دونه ثقافة او صحافة».

أضاف: فيوم المثقف العربي هو يوم للصحافة اللبنانية، هو يوم للدفاع عن حرياتنا ومصيرنا ومهنتنا، ومناسبة نستمد منها عناصر القوة، للتأكيد على الدور الذي تضطلع به صحافتنا، على رغم الأهوال التي حلت بها، وجعلتها عرضة للكبت ـ والتنكيل والملاحقة والقمع، وها أنتم تلتقون على تكريم رجل من رجالاتنا العظام، وصحافي أعطى الثقافة العربية وقضى في سبيل الدفاع عنها. إنه شهيد الصحافة اللبنانية، شهيد الثقافة العربية الراحل الكبير الدكتور حسين مروة».

وقال السبع: «إلا أنه قد يكون من واجبنا أن نتساءل، ونحن على مشارف حقبة يصنعها جيل عربي رائد من شعبنا الفلسطيني، من واجبنا أن نتساءل: هل يكفي أن نكتب، أن نؤلف، أن نرسم، أن نلحن، أن نبحث، أن نعلم، لنكون في عداد المثقفين والمدافعين عن الثقافة، وهل يكفي أن نصدر الصحف، ونطبع الدواوين، ونقيم المعارض لنحصل على شرف الانتماء إلى النخبة؟ التفتوا جنوباً، وتوغلوا نحو جنوبي الجنوب، سترون فتياناً يدافعون عن ثقافتنا باللحم العاري، انظروا إلى هناك، إلى الضفة الغربية وغزة والجولان، ستتأكدون من وجود خط الدفاع الأول والأخير عن الثقافة العربية، وستعلمون أن هذا اللقاء هو جزء من لغة جديدة، يعلمها الأطفال إلى الرجال.

فتعالوا نختصر الطريق والكلام، تعالوا نرجم القتلة بالأقلام، تعالوا نقذف الإرهاب بالحبر، تعالوا نصفع القمع باللمعة، تعالوا نضرب السلاح بالفكرة، فمن قال إن المدافع وحدها هي التي تحقق الانتصار؟

إنهم هناك يكتبون كما كتب حسين مروة ومهدي عامل وناجي العلي بالدم، إنهم هناك يكتبون لغة نفتقدها في هذا العصر العربي المهين، ونحن هنا نكتب عنهم ونبدع معهم، ونتألق بهم».

وختم السبع: «فتحية باسم الصحافيين اللبنانيين إلى الصحافيين المقاومين في الأراضي العربية المحتلة، تحية إلى أولئك الذين يكتبون بالحجارة، يرسمون بالحجارة، يلحنون بالحجارة، ينثرون الحجارة أمام العيون وفي العقول والقلوب والذكريات، تحية إلى كل الذين يكتبون بالسواعد المحطمة، بالأصابع المحروقة، بالخناجر الهادرة.

تحية إلى الحجارة الأقلام، إلى الحجارة الأفلام، إلى الحجارة الدواوين، إلى الحجارة الحرية، تحية إلى حسين مروة ومهدي عامل، ورسام فلسطين وشهيد الانتفاضة العربية الأول ناجي العلي».

كلمة الدكتور نزار الزين

استهل رئيس رابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية الدكتور نزار الزين كلمته بالقول «أقف خاشعاً متأملاً أمام ذكرى مصرع مفكرين عربيين ربطتنا بهما رابطة الزمالة في الجامعة اللبنانية اغتيلا على يد تكوين ثلاثي رهيب من إنتاج الأزمة اللبنانية، اختلطت فيه السلطة الخفية بالتعصب الأعمى الطائفي وباستباحات المسلحين فتمخض عنه رصاصات غدر في وضح النهار تحاول أن تطفئ نور العقل وحرية الرأي».

وأضاف: «لقد فقدنا بمصرع الزميلين قطبين فكريين امتازا بتعقل المعطيات الأدبية والفكرية والفلسفية نقداً وتحليلاً وإبداعاً، والتزاماً بالمنهج الجدلي المادي التاريخي من خلال ربط المعطيات بتفاعل المجتمعات وصراعاتها ووسائل إنتاجها، لسنا في معرض تقويم إنتاج المفكرين الفقيدين فلقد كان لآرائهما تأثير وتفعيل كبير في كافة الأوساط الفكرية العربية وحتى العالمية، وأنهما عاشا فكرهما ومارسا مقتضياته في حياتهما فكانا مناضلين ثوريين ومقاومين ثقافيين مخلصين، وشيوعيين نموذجيين».

وأضاف: «إن ما ميز الفقيدين هو انفتاح ذهنهما لمختلف الآراء والنظريات، ولا غرابة في أن تكون الجريمة التي قتلتهما انفلاتية... من أي معدن كانت شخصية القاتل الذي تجرأ

على إفراغ رصاصاته في جسد هذين المفكرين، إن هذه الشخصية وليدة إثم جمع بين السلطة الخفية والتعصب الأعمى واستباحة المسلح، أما السلطة الخفية فهي آفة من آفات المجتمعات الراهنة التي يتأخذ نظامها السياسي بسلطة التحالف العسكري ـ الاقتصادي ومع اشتداد النزاعات الدولية والاقليمية تطغى العسكرة على غيرها من السلطات وتلجأ السلطة السياسية، المتأخذة بالسلطة العسكرية والاعتماد على السلطة الخفية أو ما يسمى بالمخابرات، وفي لبنان كان للمخابرات (المكتب الثاني) شأن بعيد... وبعد اندلاع الأزمة في النظام الطائفي وفي المجتمع المتفسخ في لبنان أصبح هذا البلد حلبة لصراعات القوى الخفية الاقليمية والدولية، لكن خطورة السلطة الخفية تتمثل في النقاط التالية:

١ ـ تتجاوز القوانين وتستبيح ما تشاء وتقوم بأفعال مدانة لتحقيق أغراض رسمتها وتحبس حرية الرأي دون ان تتحمل مسؤولية أعمالها.

٢ ـ كلما اشتد ساعدها وحسن التعاطي الديمقراطي وغاب فهي في الأساس لا ديمقراطية.

٣ ـ يحق لها القيام بأفعال تتناقض مع الشعارات السياسية المعلنة أو تتناقض في ممارستها مع المبادئ التي يدافع عنها النظام السياسي.

٤ ـ تستبيح حيمية المواطنين وشؤونهم الخاصة عن طريق استراق التنصت ودس العملاء وترويج الشائعات.

٥ ـ تستخدم عملاء لا يتورعون عن اقتراف أي فعلة توكل إليهم.

أما التعصب الأعمى الطائفي فلقد انتشر وشاع وولد نعرات ومزق المجتمع إلى حلقات مقفلة لا تواصل بين داخلها وخارجها ويمكن تلخيص محاذير تطرفه بالأمور التالية:

١ ـ لا يعتمد على قواعد أو قوانين بل يركن إلى مسلمات وتصديق تام لا يعوزه الفعل والنقد ويتبع أوامر الزعيم الطائفي المبنية على تأويل النصوص تأويلاً ذاتياً يتناسب مع استدامة الزعيم الطائفي.

٢ ـ وفي التعصب الأعمى رفض لتفكير ومعتقدات وقيمة الآخرين من غير المنتمين إلى نفس النحلة.

٣ ـ استباحة حياة الغير وممتلكاته.

٤ ـ موقف المتعصب عصبية عمياء نقيض للموقف الديمقراطي فهو يستمد سلطته من زعيمه الطائفي الذي يعتبر نفسه ممثل لإرادة الله على الأرض.

أما المسلح الذي يستبيح فهو من اندرج في تنظيم مسلح، وخرج على الشعارات المعلنة أو شعر بالتسامح حيال تجاوزاته فاستخدم بندقيته لممارسة السلطة من جهة وللكسب الجانح من جهة أخرى.

وختم الدكتور الزين كلمته قائلاً: من تلك الآفات الثلاث تكونت شخصية القاتل الذي استطاع أن يصرع إنساناً واهناً على فراش المرض وأن يردي أستاذاً آمناً يسير في الشارع.

إننا نتوجه من على هذا المنبر إلى المثقفين كافة وإلى أساتذة الجامعات في الوطن العربي وفي جميع أقطار العالم طالبين إليهم رفض مساوئ السلطات الخفية وهيمنتها ومواجهة مخاطر التعصب الأعمى واستفحاله بالحكمة والمعرفة، ودعونا نتمسك بكل طاقتنا وفي هذه المناسبة الحزينة بحرية الرأي وبالديمقراطية وبالأفعال المسؤولة وبالقوانين العادلة وبتقييم تراثنا وحضارتنا ورجالات الفكر من بني جلدتنا.

كلمة د. أحمد اليبوري

وألقى أمين عام اتحاد المغرب الدكتور أحمد اليبوري كلمة استهلها بالقول: إن من زار مؤخراً قبر مهدي عامل وجده منبوشاً مدنّساً، يخال إلينا أننا نعود إلى دياجير العصور الوسطى التي قامت فيها محاكم التفتيش، وكانت تنبش القبور لتنكل بالجثث، لكن هذا التنكيل كان إرهاصاً لنهضة تمت في أوروبا، وإنما لنستبشر بعد هذا العصر الظلامي أن هناك تباشير نهضة يكتبها مقاومو الجنوب والجولان وحجارة الصبيان في فلسطين، في انتفاضتهم، هي البدايات، وكل علاج صحيح يجب أن ينقض إلى البداية ليعيد كتابة الحياة، بشكل سوي وصحيح.

وأضاف: كنا نستهدي بالدعوة إلى العقلانية التي كان ينادي بها حسين مروة، وكنا نتابع دعوته إلى الواقعية وإلى تحليل المجتمع العربي وفق مقاييس موضوعية. كان كل ذلك نبراساً لنا، وكان في أعمال حسين مروة كل ما يمكن ان نعتبره زاداً لنا، في مقاومة الخرافة والفكر الغيبي، في المغرب العربي، وكان هؤلاء الرموز، أيضاً، زاداً قوياً ومتيناً لمواجهة حملة فرانكوفونية، مجتاحة تحاول أن تشق جذور العروبة في أرض المغرب، وما زلنا حتى الآن نقاوم بالصمود ونواجه صراعات عنيفة من أجل الوجود العربي في مغربنا العربي.

وقال: في هذه الكلمة الوجيزة أريد أن أثير انتباهكم إلى أنني شعرت بالحيرة وأنا أقرأ عنوان الندوة « الدفاع عن المثقف العربي »، مسكين هذا المثقف العربي! أصبح بحاجة إلى من يدافع عنه، وقد عهدنا في المثقف أنه يخوض المعارك وأنه يدافع عن الحقوق وأنه يشعر بالنشوة طبعاً في لحظة الاستشهاد.

أطالب بأن ترفع الأيدي عن المثقف العربي، أن لا يدافع أحد عن المثقف العربي.

اسمحوا لي إذا قلت لكم إن السلطة ـ وكم من سلطة في وطننا العربي ـ لها دوائر سحرية تجذب إلى مركزها المثقف العربي، تتبعه في مركزها، تميته، تذيبه، وتقول إنني أدافع عن المثقف العربي.

النقطة الثانية التي أصارحكم بها هي الدعوة لنرفع التناقض، لا نريد أن نخلط بين الضحية والجلاد السكين على الرقبة والشعار ضد السكين على الرقبة. هذا المثقف الضحية، الشهيد، الرمز، أصبح كل حكم، كل سلطة تبيع جلده ولحمه في سوق البزار لا تناقض إذا كانت هناك سلطة تقبع المثقف في فم الشهادة، ألا تقول إنني أدافع عن المثقف.

وأضاف البيوري: أن حسين مروة وصحب حسين مروة، وآخرون في أقصى المغرب وفي أقصى المشرق يذهبون ضحية لأفكارهم لمبادئهم، لقيمهم، لماذا؟ لأننا في مجتمع غير مدني، لم ندخل بعد إلى مستوى المجتمع المدني، الذي سيكون للفرد فيه قيمة حقيقية لا لرجل السلطة. وكم سئمنا من تقديس رجل السلطة. كفى تقديساً، أصبحنا مجتمع الركوع والسجود والقنوط، يجب أن نعيد الاعتبار للانسان العربي في مجتمع مدني عربي، وأن نكشف التناقض الذي تعيشه السلطة في تناقضها بين الدفاع والإجهاز على المثقف العربي.

هل يمكن ان تكون حرية بدون مجتمع مدني ديمقراطي ديمقراطية اجتماعية، ديمقراطية سياسية حقيقية؟ أبداً ليس لأحد حق ولا لأي فئة حق بأن تقود الشعب كالرهائن، أبداً.. أبداً، نريد مجتمعاً ديمقراطياً حقيقياً، الذي يحمي المثقف العربي، المجتمع المدني.

وقال في آخر هذه الكلمة السريعة: أدعو إلى أن تتراص في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا العربي القوى الوطنية والتقدمية من أجل اجتياز المؤامرات التي تتحالف فيها الرجعية أولاً، ثم الصهيونية الامبريالية ثانياً وثالثاً، من الطبيعي ان تكون للامبريالية والصهيونية مطامع هذا شيء طبيعي ولكن مشكلنا هو داخلي مع الرجعية ذات المصالح المرتبطة بالامبريالية والصهيونية.

وختم البيوري قائلاً: إن القوى الوطنية في رأي مجموعة من كتاب وأدباء المغرب، إن الحركة الوطنية والحركة التقدمية بانقساماتها وتشرذمها تخدم الرجعية في هذه اللحظة التاريخية، وكل مزايدة تدخل في باب الترف الفكري، فأدعوكم باسم هذه الجماعة في أقصى المغرب، التي تخوض المعركة من أجل تثبيت العروبة وترسيخ الديمقراطية، أن تتكاتف القوى الوطنية والتقدمية لإقامة مجتمع عربي مدني تصان فيه كرامة الفرد وتتحرّر فيه الشعوب من الهيمنة الرجعية والامبريالية.

كلمة حبيب صادق

وألقى الأستاذ حبيب صادق الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي كلمة استهلها بالقول: « شامخة عمارتك أيها السيد، وهي فسيحة الأرجاء، وفيرة الأبعاد وكثيرة الأبواب: فكيف يتأتى لقاصد أن يدخل عليك ويجلس بين يديك، ويحاول الإيحاء في عينيك، الفضائين غنى ونضارة وعذوبة.

كيف يتأتى له أن يصل إلى مصادر الضوء والخصوبة في عالمك المثقل بالينابيع والحدائق والآفاق...

يا أبا نزار...

بي من الأشواق مثل ما بهم جميعاً أولئك الرفاق وأهل المعرفة وتلاميذ الوفاء... إلا أن العجز يقعدني فهب لي من لدنك القدرة على الوصول وامنحني، من سماحك، إجازة الاختيار... فثمة باب بعينه، من أبوابك الكثيرة، يأخذني بشغاف القلب ويشدني إليه بعصب العمر ونداء المواعيد..

إنه باب الأبواب وفاتحة الكتاب.

إنه باب الجنوب...

ذلك القائم على جذر الأشياء وعلى الماء الأول وميلاد الأسماء »...

وقال: « أنت من كشفت لنا الحجاب، بجرأة الفاتحين، عن وجهي المعادلة: الأصالة والمعاصرة وأشرت الى الطريق الصواب. وأنت من سميت الأشياء بأسمائها وحددت الجهات وقلت لنا: هذا سراجي المنير: العقل، وتلك عربتي المصعدة حركة التاريخ.

ثم أعلنت هواك، ذاك الجديد في ألوان الهوى، فصرت

في العاشقين ذلك المنذور للإنسان وللشمس والفرح.. فتأثرنا بك وحاولنا السير من خطاك، فمن جديدك في حب الأرض والشعب تعلّمنا أن آية الحب: العطاء، وأن العطاء فعل وعي واختيار، وأنه الانسجام المتوهّج بين القول والممارسة وأنه الانحياز الصارم إلى قضية الحرية والعدالة.

واهتدينا ببصرك الثاقب، فرأينا إلى قضية الحرية والعدالة وهي تأخذ، في عالمنا الراهن، شكل ساحة مشتعلة في أرض العرب، بعضها جنوب لبنان وبعضها الآخر فلسطين. ساحة واحدة وعدو واحد ينتهي هنا في مشرقنا ويبدأ من هناك من مغارب الشمس».

وتابع حبيب صادق: «يا أبا نزار، مثلك، في مسار التحول والتخطي، مثل جبلك العاملي، فهو لم ينتقل إلى جبهته المقاومة انتقالاً اعتباطياً مجانياً لا تاريخياً، بل انتقل إليها، وإن بخطى نوعية، عبر فصول الكفاح الدامية في مواجهة ثنائي القهر والعدوان، الخارجي والداخلي. وأنت لم ترتجل ريادتك، في الفكر والعمل، ارتجالاً مجانياً لا تاريخياً بل انتهيت إلى عالم كشوفاتك المعرفية وإلى موقعك الطليعي على ساحة النضال الوطني والقومي والأممي في سياق حركة التطور الاجتماعي، ببعديها العام والخاص».

ثم تحدث عن نشأة حسين مروة في مرحلة نهوض جبل عامل حيث برز جيلان من الرواد: جيل المقاومين للاستعمار الفرنسي ولطلائع الغزو الصهيوني وجيل المؤسسين للنهضة والإصلاح، منتقلاً للحديث عن مغتربه النجفي حيث كان يتلقى العلم والذي طرد منه أيام نوري السعيد فغوصه في غمرة الكتابة المسؤولة وانخراطه في ورشة البناء الثوري، وبقي في كل ذلك محتفظاً للجنوب بنبضات القلب وبفيض من عطاء فكره ونضاله متصدياً لقوى الانحطاط السياسي والقهر الطبقي، مقاتلاً سدنة الجهل والخرافة معلياً من شأن القيم الروحية والفكرية مكبّراً دور الإسلام الحضاري في حياة المجتمع.

ثم توقف عند ما قدمه حسين مروة على جبهة الأدب والثقافة.

كلمة فؤاد شاهين

وفي الختام، ألقى الدكتور فؤاد شاهين عضو المكتب السياسي في الحزب التقدمي الاشتراكي كلمة جاء فيها: «أرحب بكم في صرح الحزب التقدمي الاشتراكي، في جبل كمال جنبلاط الذي كان عضواً فاعلاً في اتحاد الكتاب اللبنانيين مصراً على البقاء عضواً عادياً بسيطاً ومتواضعاً، لقد كان يقول: لا أريد أن تطغى السياسة على الثقافة ولا أن تسيطر الأحزاب على الجمعيات الثقافية واتحادات الكتاب، إن لحرية الفكر معنى لا يدركه كثيرون من رجال السياسة وأصحاب السلطة والسلطات».

وتمنى أن تعم الحرية والديمقراطية كل أرجاء الوطن العربي فتنقشع غمائم القمع والتسلط والإرهاب، وقال: «حزبنا في هذه المنطقة يعمل بمشاركة ودعم القوى التقدمية والوطنية كافة، على بناء نموذج ديمقراطي تقدمي يتعدى العلاقات التقليدية الأبوية، من أجل إقامة سلطة شعبية حقيقية».

وتوقف شاهين عند عجز معظم الأقطار العربية عن تكوين وحدة وطنية حقيقية نتيجة الصراعات الاجتماعية والاقليمية والقبلية والطائفية في داخلها والتي تغذيها التدخلات الأجنبية وغياب الديمقراطية وبعد الشعب عن ممارسة مهماته السياسية.

وأكد على أن من أبسط قواعد الديمقراطية أن يعطى للإنسان الفرد قيمة بمعزل عن كل انتماءاته الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية أو العقائدية.

وأشار إلى أن الفرد العربي ما زال يدخل إلى المجتمع الكبير من خلال جماعات تقليدية مثل العائلة والقبيلة والطائفة، وهو ليس فيها فرداً فاعلاً ومتفاعلاً معها بل هو عنصر مسحوق لا يشكل إلا عدداً، بعكس الجماعات الحديثة كالأحزاب والنقابات والمنظمات المهنية والثقافية يدخلها الفرد بإرادته ويستطيع ان يقوم بتغيير أنظمتها وقوانينها.

وأضاف: «إن المواطنية والقوى الاجتماعية الجديدة لا يمكنها ان تنشأ وتستمر إلا بسيطرة العقل على الأساطير والغيبيات»، مشيراً إلى أن مجتمعاتنا لم تعرف العقلانية على مستوى المجتمعات، وقال: «إن العقلانية تلغي الغيبية من أي تفكير ديني كان أم غير ديني وهي بذلك تشكل أساساً للديمقراطية وللعلمانية».

وتابع الدكتور فؤاد شاهين قائلاً: «إن ندوة العقل والحرية التي تعقدونها في ربوعنا لا بد وأن تتطرّق إلى الظاهرة الجديدة عن شعبنا الفلسطيني في الأرض المحتلة: إنه النهوض العارم والشامل لإسقاط الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي بدأ يعد أيامه ويعبر عن قلقه إزاء هذه الانتفاضة التي تقلق بعض الأنظمة العربية».

وأدان شاهين القمع العنصري والفاشي لقوات الاحتلال،

موجهاً التحية لهذا الشعب المناضل ولقواه الثورية، كما وجه نداء إلى مثقفي العالم ليقفوا إلى جانب نضال الشعب الفلسطيني حتى ينال حقوقه في تقرير مصيره وإقامة دولته فوق ترابه الوطني.

البيان الختامي

بدعوة من المجلس القومي للثقافة العربية واتحاد الكتاب اللبنانيين، عقدت في بعقلين ـ لبنان بين التاسع عشر والثاني والعشرين من شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٨٨، ندوة عربية شعارها «الدفاع عن حرية المثقف العربي»، وذلك في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد المفكر العربي التقدمي الدكتور حسين مروة.

وقد شارك في الندوة مثقفون وطنيون وقوميون ديموقراطيون من أقطار عربية متعددة ومن انتماءات أيديولوجية ونظرية منهجية متعددة. فقدم فريق منهم أبحاثاً أو مداخلات عالجت فكر المفكر الشهيد حسين مروة. وفريق آخر منهم قدم أبحاثاً أو مداخلات أخرى عالجت فكر الشهيد المفكر مهدي عامل (حسن حمدان). ومن ثم، كان هنالك ثلاثة محاور أساسية في الندوة. اثنان منها اتصلا بالإرث الفكري لكلا المفكرين الشهيدين أما الثالث فقد عالج قضية حرية المثقف في الوطن العربي. وقد أشار المشاركون إلى أهمية وخطورة المسائل النظرية التي قدمها المفكران في أعمالها في عملية تأصيل الفكر العربي المعاصر العقلاني الديمقراطي وفتحه آفاقاً ريادية على طريق تقدمه وتطوره.

وقد لوحظ أن انعقاد الندوة يأتي في مرحلة عصيبة وخطيرة من الوضع العربي المعاصر، تلك المرحلة التي تتسم ـ في وجهها الأول ـ ببروز القوى السياسية الطائفية على الساحة اللبنانية ومحاولات الاتجاهات الظلامية فيها أن تهيمن على مجمل الساحة، وذلك في سياق تصاعد الهجوم الامبريالي الصهيوني على المنطقة العربية عموماً. ومن هنا كان الوجه الآخر من المرحلة المذكورة، وهو تعاظم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتق القوى الوطنية والقومية الديمقراطية هنا في تصدّيها للقوى إيّاها.

أما السمة الأساسية التي طبعت أعمال الندوة ومناخها العام، فقد تمثلت بممارسة المحاضرين والمتداخلين والجمهور المستمع المشارك لغة عالية رفيعة من الحوار الديمقراطي بمستوى معرفي وأيديولوجي رفيع. ولقد انطلق من ذلك المناخ العام وعي عميق لدى المشاركين بضرورة الإقرار بالتعددية الفكرية والأيديولوجية في حدود وحدة الموقف الوطني والقومي بمثابتها أحد المداخل الكبرى المجسدة للديموقراطية نظرية وتطبيقاً. وقد رأى المشاركون أن الديموقراطية تقتضي، إلى جانب الإقرار بالتعددية تلك، الكفاح من أجل مجتمع عربي علماني تبرز فيه المواطنة المدنية من حيث هي الصيغة السليمة التي تحقق تعايشاً مجتمعياً عاماً بين أفراده، وبحيث يكون الدين فيه محترماً دون أن يمثل نسقاً من أنساق التدخل في علاقة السلطة بالجمهور.

إن الشعارات الوطنية والقومية والديموقراطية المناهضة للتعصب الديني والطائفية، التي رفعها رواد من عصر النهضة العربي الحديثة، تجسد الوجه الأكثر أهمية في تحقيق ذلك الأمر. ومن هنا، لاحظ المشاركون في الندوة أنهم يمثلون امتداداً شرعياً للفكر النهضوي العربي المستنير. وكان الإلحاح مشدداً من قبل المشاركين على أن شرطي التعددية الذاتية والأيديولوجية يستكملان عبر شرط الموقف المعرفي العقلاني، الذي من شأنه أن يسهم على نحو بارز في بلورة المسألة الديمقراطية. ذلك لأنه يستبعد القمع والإرهاب كوسائل إقناع أو إسكات للرأي الآخر، ويقر بضرورة إيجاد جهاز من المفاهيم والمقولات العقلية تتيح خلق جسور مشتركة، إلى درجة أو أخرى، بين الفرقاء والخصوم المتحاورين.

وقد لاحظ المشاركون أن غياب الشروط المذكورة للديموقراطية في الوضعية العربية عموماً، ومن ضمن ذلك لبنان على نحو خاص، أسهم، كما يسهم، في استنبات الظلامية ذات الأنساق الطائفية المذهبية والعشائرية والعائلية في قلب الوطن، مما يهدد تماسكه الاجتماعي الوطني والقومي ويقود إلى الوقوف في وجه مشروع عربي وطني وقومي ديموقراطي.

وكان هنالك تأكيد على أن هذه القوى الظلامية هي التي كانت من وراء اغتيال المفكرين مروة وعامل وغيرهما من شهداء حركة التحرر العربية، ومن وراء الاعتداء على المؤسسات الثقافية الديموقراطية. ولما كان هنالك استبصار بأن القوى المذكورة ظلامية الشخصية، بحيث يبرز لديها القمع والإبادة الجسدية للخصم وينتفي لديها الصراع الفكري والأيديولوجي التاريخي، فقد لوحظ أن التصدي لها وكشف دورها وبنيتها يمثل مهمة أساسية في سياق إنجاز المشروع العربي الوطني والقومي الديموقراطي. وهذا بدوره، يقتضي القيام بعملية تنوير واسعة وعميقة النطاق في أوساط الجماهير العربية، وذلك جنباً إلى جنب مع الخوض في كل أشكال الصراع التي تفرضها القوى الظلامية على القوى الوطنية والقومية الديموقراطية.

وقد لوحظ أن انعقاد هذه الندوة يأتي متوافقاً مع حدثين كبيرين في الوطن العربي، الأول المتمثل بذكرى مرور ثلاثين عاماً على تحقيق أول وحدة عربية في العصر الحديث بين سوريا ومصر والتي سيعمل المثقفون العرب الديموقراطيون على استخلاص الدروس العلمية الموضوعية من تجربتها من أجل بناء وحدوي عربي ديموقراطي لاحق، والثاني المتجسد بانتفاضة شعبنا العربي البطل في فلسطين المحتلة، تلك الانتفاضة التي تأتي المقاومة الوطنية اللبنانية بمثابة الرديف لها والدرع الجدي الاستراتيجي.

وتوجه المشاركون في ختام الندوة إلى المثقفين العرب الديموقراطيين حيثما كانوا إلى تعزيز وتدعيم صفوفهم بأساليب أكثر تقدماً وفاعلية في مواجهة الاشكال والصيغ الأكثر تخلفاً وظلامية في الوطن العربي، وفي الكفاح من أجل وضع ديموقراطي يتيح للجماهير الشعبية العربية أن تكون، في كفاحها من أجل الوحدة الوطنية العلمانية والوحدة القومية والتقدم الاجتماعي، أكثر نجاعة وتوحداً وفاعلية!

وإذ يحيي المشاركون المجلس القومي للثقافة العربية واتحاد الكتاب اللبنانيين على عقدهذه الندوة فهم يرون في انعقادها تكوين خطوة هامة على طريق جبهة ثقافية عربية ديموقراطية بصفتها واحداً من المداخل الأساسية التي تسهم في إعادة بناء المجتمع العربي وطنياً وقومياً وديموقراطياً.

لنرفع شعار الدفاع عن حرية المثقف العربي في كفاحه في أجل مجتمع عربي ديموقراطي.

★ ★ ★

وعلى مألوف عادة «الآداب» في إصدار ملفّات خاصة بالأحداث الأدبية البارزة والمؤتمرات والندوات الثقافية التي تعقد في الوطن العربي، فإننا ننشر في هذا العدد الخاصّ مجموعة مختارة من الأبحاث والدراسات التي قُدمت في هذه الندوة.

روايات يابانية

من منشورات دار الآداب

● حزن وجمال
تأليف ياسوناري كاواباتا
ترجمة الدكتور سهيل ادريس

● علّمنا أن نتجاوز جنوننا
تأليف كينزا بورو أوي
ترجمة كامل حسين يوسف

● امرأة في الرمال
تأليف كوبو آبي
ترجمة كامل حسين يوسف

مؤلفات يوكو ميشيما

● البحّار الذي لفظه البحر
ترجمة عايدة مطرجي ادريس

● عطش للحبّ
ترجمة محمد عيتاني

● رباعية ميشيما
ترجمة كامل حسين يوسف